أحاديث فى الصوم وآدابه

obeikandl.com

إعطاء كل ذى حق حقه

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى جحيفة قال: «**آخى النبى ﷺ بين سلمان وأبى الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتَبذِّلة فقال لها، ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كل، قال: فإنى صائم قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا فأعط كل ذى حق حقه، فأتى النبىَّ ﷺ فذكر ذلك له فقال له النبى ﷺ صدق سلمان**».

نحن هنا أمام موقف أخوى كريم، قائم على النصيحة المخلصة والمحبة فى الله ولله، إن سلمان الفارسى وأبا الدرداء آخى بينهما رسول الله ﷺ، وحيث إن المؤمن مرآة أخيه، فقد زار سلمان أخاه فى الدين أبا الدرداء فرأى زوجته أم الدرداء متبذلة أى لابسة ثياب المهنة تاركة ثياب الزينة، غير حريصة على هندامها أمام زوجها فسألها عن سر ذلك فأخبرته أن زوجها قد انصرف عن متع الحياة ونسى علاقته الزوجية وآثر الصيام نهارًا، والقيام ليلاً بلا التفات إلى حقوق نفسه أو حقوق زوجه. .

فتعجب سلمان الفارسى ﷺ فلما حضر أبو الدرداء رحب بأخيه سلمان وأحضر له الطعام فرفض سلمان أن يأكل إلا أن يشاركه أبو الدرداء، فأخبره أبو الدرداء أنه صائم، فقال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل.

وفى رواية: «**أقسمت عليك لتفطرن**» فأكل الرجل مع ضيفه وترك صيام النافلة، فلما جن الليل وحان موعد النوم أراد أبو الدرداء أن يقوم الليل كله متهجدًا فمنعه صديقه وأخوه فى الدين سلمان، وجعله ينام أول الليل حتى جاء وقت السحر فقاما وتهجدا وصليا ما شاء الله لهما ثم خرجا لصلاة الفجر.

وحينئذ واجه سلمان صاحبه بالنصيحة القولية بعد التجربة العملية فقال له: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذى حق حقه. .

وتعجب أبو الدرداء من تلك المواجهة الصريحة المخلصة فقصها على الرسول ﷺ فقال: «**صدق سلمان**»..

النيابة فى الصوم

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «**جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال: نعم فدين الله أحق أن يقضى**».

الصوم مرتبط بالقدرة على الإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات، فمن عجز عن الصوم عجزا مؤقتًا فله الفطر وعليه القضاء عند زوال العذر، وإذا كان العجز ملازمًا فله الفطر وعليه الفدية إطعام مسكين.

ولا يجوز الصيام عن الحى مهما كان عذره، لكن من مات وعليه صيام واجب من رمضان أو من نذر أو غير ذلك فيمكن الصيام عن الميت للأحاديث الصحيحة التى وردت فى هذا الشأن.

فعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**».

والمراد بالولى القريب سواء كان وارثًا أو غير وارث، ولو صام عنه أجنبى بإذن الولى جاز وإلا فلا يجزئ.

والولى مخير بين الصيام والإطعام ولا يجب عليه الصوم.

وقد تعدد السؤال أمام رسول الله ﷺ فى هذه المسألة فتارة كان السائل رجلاً وتارة كان امرأة، وتارة كان السؤال عن الأم التى ماتت وتارة كان السؤال عن الأخت؛ وتارة كان السؤال عن صوم شهر، وتارة كان السؤال عن صوم نذر.. وفى كل هذه الحالات كان جواب رسول الله بصحة صيام الحى عن الميت وأنه يسقط ما وجب فى ذمة الميت، بل إن الرسول ﷺ قدم تشبيهًا جميلاً وقياسًا بديعًا فقال فى بعض الروايات: «أرايت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟ قالت المرأة السائلة: نعم، قال عليه الصلاة والسلام: فدين الله أحق بالقضاء».

وقد امتد هذا الحكم الشرعى إلى أشياء كثيرة يعملها الحى فينتفع بها الميت كالصدقة والدعاء والحج، ففى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**».

وكان ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال ﷺ «**استغفروا لأخيكم وسلو له التثبيت فإنه الآن يسأل**».

الصوم فى السفر

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: «**كان رسول الله ﷺ فى سفر فرأى زحامًا ورجلاً قد ظلل عليه فقال ما هذا؟ قالوا: صائم، فقال ليس من البر الصوم فى السفر**».

***

دين الله يسر، والتكليف الشرعى مرتبط بوسع الإنسان، قال الله تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾[1].

والصوم من الفرائض التى شرعها الله للتهذيب والتربية، واختصه الله تعالى بميقات زمانى من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس فى كل يوم من أيام شهر رمضان، لكن الإنسان قد يعرض له مرض أو سفر فشرع الله تعالى الفطر رخصة امتن الله بها على عباده فقال جل شأنه:

﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[2].

والحديث الشريف الذى معنا يعرض لحادثة وقعت أمام رسول الله ﷺ، لقد كان الرسول فى سفر ثم شاهد زحامًا حول رجل قد ظلل عليه ويحاول الناس إسعافه لأنه قد أغمى عليه، فسأل عن السبب فعلم أنه كان صائمًا خلال سفره هذا فأصابه إرهاق وإعياء من شدة الحر وعناء الطريق، هنا قال عليه الصلاة والسلام: «**ليس من البر الصوم فى السفر**».

وقد اختلف العلماء فى فهم هذا الحديث فذهب أهل الظاهر إلى أن الصوم فى السفر معصية ولا يصح الصوم وعلى المسافر عدة من أيام أخر، وفى مقابل هؤلاء قال آخرون لا يجوز الفطر فى السفر إلا لمن خاف على نفسه الهلاك أو المشقة الشديدة، لكن الجمهور على أنه يجوز الفطر والصوم فى السفر وقد يترجح أحدهما، فأفضلهما أيسرهما فمن كان الفطر أيسر عليه فهو أفضل فى حقه ومن كان الصوم أيسر كمن يسهل عليه حينئذ الصوم ويشق عليه القضاء فالصوم أفضل..

---

(١) سورة البقرة : آية (٢٨٦).

(٢) سورة البقرة : آية (١٨٥).

كذلك قد يترجح الفطر لمن خاف على نفسه العجب والرياء إذا صام أو قد يظن به الإعراض عن الرخصة فإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه.

وفى فهم القول النبوى: «**ليس من البر الصيام فى السفر**» قال ابن دقيق العيد: **إن كراهة الصوم فى السفر مختصة بمن هو فى مثل هذه الحالة ممن يجهده الصوم ويشق عليه أو يؤدى به إلى ترك ما هو أولى من الصوم من وجوه القرب.**

وحمل الشافعى نفى البر المذكور فى الحديث على من أبى قبول الرخصة، وقال الطحاوى: المراد بالبر هنا البر الكامل الذى هو أعلى مراتب البر، وليس المراد به إخراج الصوم فى السفر عن أن يكون برًا لأن الإفطار قد يكون أبر من الصوم إذا كان للتقوى على لقاء العدو مثلاً.. [1].

***

(١) راجع فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام ابن حجر ج ٤ ص ١٨٣.

obeikandl.com

الصوم وأذان الفجر

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: إن بلالاً كان يؤذن بليل، فقال رسول الله ﷺ: «**كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر، قال القاسم بن محمد الراوى عن عائشة: و لم يكن بين أذانهما إلا أن يرقى ذا وينزل ذا**».

***

كان للفجر أذانان على عهد رسول الله ﷺ، يقوم بالأول منهما بلال بن رباح ويقوم بالثانى ابن أم مكتوم، ذلك الصحابى الأعمى الذى عاتب الله تعالى فيه رسوله ﷺ بقوله:

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ ﴾[1].

وفى الحديث الشريف الذى معنا يبين الرسول الكريم للناس حكم الأكل والشرب وسائر المفطرات، فقد أباح لهم هذه المفطرات طوال الليل حتى ولو سمعوا أذان بلال، فلا يمنعهم هذا الأذان من الاستمرار فى المآكل والمشارب لأن بلالاً يؤذن قبل طلوع الفجر للتنبيه على قرب الوقت ولحث الناس على سرعة الانتهاء. .

وفى حديث آخر: «**لا يمنعن أحدًا منكم أذان بلال أو نداء بلال - من سحوره فإنه يؤذن أو قال ينادى ليرجع قائمكم ويوقظ نائمكم**».

ومعنى «يرجع قائمكم» أن يرد الأذان القائم المتهجد إلى راحته لينام غفوة فيصبح نشيطًا، أو يوتر إن لم يكن أوتر، أو يتأهب للصبح إن احتاج إلى طهارة أخرى.

وتظل هذه الإباحة حتى يؤذن ابن أم مكتوم، فقد كان أعمى ولا يؤذن إلا بإشارة من الصحابة الموجودين حوله والذين يترقبون طلوع الفجر.

وبهذا يكون أذان ابن أم مكتوم فيصلاً بين وقت بدء الصوم ووقت الإباحة الشرعية..

---

(١) سورة عبس : الآيات (١ - ٤).

أما قول الراوى: «ولم يكن بين أذانهما إلا أن يرقى ذا وينزل ذا» فليس معناه أن الفرق بين الأذانين كان قصيرًا بحيث ينزل أحدهما من مكان الأذان ويصعد الآخر، فلا يعقل أن يكون الأذانان متواليين لفوات الحكمة من الأذان الأول. .

ولهذا قال العلماء معناه أن بلالاً كان يؤذن قبل الفجر بوقت كاف يسع الأكل والشرب ويمكث بعد أذانه للدعاء والتسبيح ثم يرقب الفجر فإذا قارب طلوعه نزل فأخبر ابن أم مكتوم فيتأهب ذلك الصحابى الأعمى بالطهارة وغيرها ثم يرقى ويشرع فى الأذان مع أول طلوع الفجر..

***

obeikandl.com

تأخير السحور

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت ﷺ قال: «**تسحرنا مع النبى ﷺ ثم قام إلى الصلاة ، قلت: كم كان بين الأذان والسحور قال: قدر خمسين آية**».

***

شرع الله تعالى الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر محلاً لتناول الطعام والشراب وسائر محظورات الصيام، وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ ﴾ (١).

والسَّحور – بفتح السين – الطعام المعد فى هذا الوقت، أما السُّحور – بضم السين – فهو المصدر الذى هو التسحر وتناول الطعام..

وقد استحب رسول الله ﷺ: **تأخير السَّحور حتى يقترب من طلوع الفجر ليكون ذلك أقوى على القدرة على الصيام وأرفق بالمرء، وعوناً له على مغالبة الجوع والعطش.**

وقد يسمى هذا تعجيلاً بالسَّحور بمعنى سرعة الأكل والإسراع فى تناول الطعام خوف طلوع الفجر، وقد عنون البخارى فى صحيحه بقوله: «**باب تعجيل السَّحور**».

إشارة إلى أن السحور كان يقع قرب الفجر بل لم يكن يفصل بين السَّحور وصلاة الفجر إلا مقدار الذهاب إلى المسجد..

ففى رواية عن سهل بن سعد قال: كنت أتسحر فى أهلى ثم تكون سرعتى أن أدرك السجود مع رسول الله ﷺ .

والحديث الذى معنا يفيد أن زيد بن ثابت ﷺ تناول السَّحور مع رسول الله ﷺ وهذا شرف كبير حظى به زيد، وتواضع جم من المصطفى الكريم حيث كان يؤاكل أصحابه ويقرب منهم ويتودد إليهم . .

---

(١) سورة البقرة : آية (١٨٧).

وبمجرد الانتهاء من السحور قام النبى ﷺ إلى صلاة الفجر أى أنه تسحر فى آخر جزء من الليل، وحين سئل زيد: كم كان بين الأذان والسَّحور؟ قال: قدر خمسين آية، أى قدر قراءة خمسين آية من كتاب الله قراءة متوسطة ليست سريعة ولا بطيئة، ولآيات متوسطة ليست طويلة ولا قصيرة. .

وهذا التقدير من زيد بن ثابت فيه دلالة على عظم قدر الصحابة حيث كانوا يشغلون أوقاتهم بالعبادة ويقدرون بها أعمالهم ومواقيتهم، وكانوا قبل الإسلام يستخدمون تعبيرات من بيئتهم كقولهم: قدر حلب شاة، وقدر نحر جزور.. فسبحان مقلب القلوب ومغير الأحوال ومانح الهداية.. والله ذو فضل على المؤمنين. .

***

الوصال فى الصوم

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن عبد الله ﷺ «**أن النبى ﷺ واصل فواصل الناس، فشق عليهم فنهاهم، قالوا: إنك تواصل قال: لست كهيئتكم إنى أظل أُطعم وأسقى**».

***

الوصال هو صوم يومين فأكثر من غير فطر، وقد نهى عنه الإسلام لأن شرع الله يسر وكان من هدى رسول الله ﷺ تعجيل الفطر وتأخير السحور ليكون ذلك عونًا للصائم وأقوى له على أداء العبادة بنشاط، وحتى تتواصل الحياة كسبًا للرزق وضربًا فى الأرض وابتغاء من فضل الله..

لكن رسول الله ﷺ واصل فى بعض صيامه فاقتدى به الصحابة رضى الله عنهم فنهاهم المصطفى الكريم عن الاقتداء به فى الوصال لأنه مقام يصعب الالتزام به ويشق على الناس، وكان رسول الله رفيقًا بأمته رحميًا بهم..

وقد جاء فى بعض الروايات: «**وأيكم مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى**» والمعنى أن الله تعالى يجعل لرسوله قوة ومقدرة على الوصال كقوة الطاعم الشارب، وليس على ظاهره من أنه ﷺ يأكل ويشرب وإلا ما كان مواصلاً.

وحين لم يتراجع الصحابة عن الوصال نهاهم الرسول ﷺ بتجربة عملية ففى صحيح مسلم «فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يومًا ثم يومًا ثم رأوا الهلال فقال لو تأخر الهلال لزدتكم، كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا ».

وفى رواية: «**أما والله لو تماد لى الشهر لواصلت وصالاً يدع المتعمقون تعمقهم**».

والمعنى أن الرسول ﷺ واصل بالصحابة يومين فى آخر الشهر ثم ظهر الهلال وانتهى صوم رمضان، فأخبرهم الرسول الكريم أنه أراد أن يثبت لهم عمليًا المفسدة المترتبة على الوصال وهى الملل من العبادة والتعرض للتقصير فى بعض المأمورات الشرعية والواجبات الاجتماعية.

والمراد بالمتعمقين المتشددون فى الأمور المجاوزون للحدود، فالعبادة إنما تكون على قدر وسع الإنسان، ومن غير إرهاق يعقبه ملل، ولذا جاء فى بعض روايات أحاديث النهى عن الوصال: «**فاكلَفو من العمل ما تطيقون**».

وعلى هذا فالوصال من الخصائص التى أبيحت للرسول ﷺ وحرمت على أمته . .

أدب الصوم

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه**».

***

الصيام فى حقيقته الشرعية إمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وهذه المفطرات قد تكون حسية كالأكل والشرب والمعاشرة الزوجية، وهذه مبطلة للصوم منافية لوجوده، وقد تكون المفطرات معنوية كالغيبة والنميمة وقول الزور وإتيان المنكرات، وهذه محبطة لثواب الصوم مضيعة لأجره..

وقد جاء هذا الحديث الشريف مبينًا لتلك الحقيقة فقال: «**من لم يدع قول الزور والعمل به**» أى أن الصائم الذى لا يترك قول الزور والاستمرار على المآثم «فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه» أى أن إمساكه عن الطعام والشراب لا يغنى عنه من الله شيئًا فلا يلحقه ثواب صيام، فقوله «ليس لله حاجة» مجاز عن عدم القبول، فنفى السبب وأراد المسبب، وقريب منه فى التعبير قوله تعالى:

﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾[1].

وقول الزور أو شهادة الزور من كبائر الإثم والفجور، فقد يقتطع بها حق الغير من مال أو دماء، وقد يترتب عليها مفاسد جمة تضر بالفرد والمجتمع. .

والمسلم ينأى عن المعصية مطلقًا فى صومه وفطره، والنهى عن المعصية وارد فى رمضان وغيره لكنه فى رمضان أشد نهيًا. .

وقد جاء فى وصف عباد الرحمن:

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

وجاء النهى بليغًا فى قوله تعالى:

---

(١) سورة الحج: آية (٣٧).

(٢) سورة الفرقان: آية (٧٢).

﴿ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [1].

وفى صحيح الحديث عن أبى بكرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت»** أى من هول التهديد الذى استشعره الصحابة من مقالة رسول الله ﷺ..

***

(١) سورة الحج: آية (٣٠).

obeikandl.com

الجود فى رمضان

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: «**كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة فى رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبى ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة**».

سيدنا رسول الله كان أجود الناس، وكان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر، وهذا الجود فى حياة رسول الله يتضاعف فى شهر رمضان حين يلقاه جبريل، وتلك المضاعفة بسبب ما يرتبط برمضان من نفحات إلهية قدسية تجعل الإنسان يتسابق إلى الخير والبر والمعروف وأيضًا لأن جبريل الأمين عليه السلام كان يلتقى برسول الله ﷺ فى ليالى شهر رمضان يدارسه القرآن، ويعرض عليه النبى ﷺ ما تنزل عليه من القرآن، وهذه المدارسة تفتح العقل والقلب على أنوار الله عز وجل..

هذا اللقاء الفريد بين جبريل ومحمد ﷺ فى كل ليلة من الشهر الفضيل يجعل الرسول ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة..

والمعنى أن جود رسول الله فى رمضان أسرع بالخير من الريح التى يدوم هبوبها بالرحمة والتى تعم جميع الأماكن التى هبت عليها..

ويفيد الحديث الشريف فوائد جمة ننتفع بها فى حياتنا..

فمدارسة القرآن ومزيد العناية به أدب إسلامى فى كل وقت وحين، ويتأكد فى أيام الله من شهر رمضان..

وقراءة القرآن أعظم الذكر وأفضله، وفيه مناجاة الله تعالى بكلامه المنزل، وفيه معالم الهدى والنور للحياة المثلى..

ولقاء الصالحين يترك فى النفس آثارًا طيبة مباركة، ويغسل النفس من همومها وأحزانها، ويشرح الصدر بالكلمة المخلصة والتذكير بآلاء الله..

فالمؤمن مرآة أخيه، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، والدين النصيحة.

ثم إن الإنفاق والبذل والجود فضيلة اجتماعية تحقق المشاركة الوجدانية بين بنى المجتمع وتتأكد هذه الفضيلة فى الشهر الفضيل..

الصيام والقيام

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

***

حث الرسول ﷺ المسلمين على صيام رمضان وقيامه وأكد على ليلة القدر حتى يحظى المسلم بالثواب الجزيل الذى أعده الله تعالى لعباده القائمين الصائمين، وفى رواية: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**».

وجاءت روايات عند النسائى وأحمد تزيد: «وما تأخر».

ومعنى الحديث الشريف أن من صام رمضان وقامه بالصلاة وأنواع الطاعات تصديقًا بوعد الله وحكمه، وطلبًا للأجر والثواب لا رياء ولا سمعة غفر الله له ذنوبه المتقدمة وحفظه من الذنوب المتأخرة، فلا يقع فى كبيرة وتظل عناية الله تشمله وتسدد خطاه..

وليلة القدر هى ليلة الشرف الذى اكتسبته من نزول ملك ذى قدر هو جبريل الأمين، بكتاب ذى قدر هو القرآن المجيد، على نبى ذى قدر هو محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، لأمة ذات قدر هى أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس..

كذلك يحصل القدر والشرف لمن يحيى هذه الليلة المباركة بما ينزل فيها من البركة والرحمة والمغفرة..

إن الصيام والقيام الذى يستتبع مغفرة الذنوب هو صيام عن المفطرات والشهوات وقيام بحق الله وحق العباد، فيكون الصائم على خلق وأدب كريم ، وشعاره الوقار والسكينة، ولا تصدر عنه إلا الكلمة الطيبة والنصيحة الصادقة، ولا تُكِنُّ نفسه إلا الألفة والمحبة والصفاء.

وفى توجيه عام يقول الرسول ﷺ: «**فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم**».

وفى هذا إشارة إلى حسن المعاشرة وإصلاح ذات البين وتأليف القلوب وحسن الاعتذار..

إن الصوم تربية وجهاد ومن أعظم القربات، وبه يسمو الإنسان ويرقى..

رمضان فى الملأ الأعلى

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين»**.

***

شهر رمضان شهر معظم، نزل فيه القرآن، وبدأ فيه الوحى لسيدنا محمد ﷺ ، وخصه الله تعالى بتلك الشعيرة التى تهذب النفس وتصلح السلوك وتقوم الخلق وتدفع بالإنسان إلى التسامى.. ويتجلى الله تعالى على عباده فى هذا الشهر العظيم، وقد ذكر الحديث الشريف الذى معنا ثلاث خصائص:

أولاً: قوله ﷺ «إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء». وفى رواية أبواب الرحمة، وفى رواية أبواب الجنة.

وتفتيح الأبواب قد يكون حقيقة وقد يكون مجازًا للدلالة على العبادات والقربات التى شرعها الله ويفعلها المسلم فى هذا الشهر بمزيد من الكم والكيف كالصيام والصلاة والإنفاق وقراءة القرآن ومدارسة العلم وألوان الذكر المتعددة، فهذه الطاعات تقود الإنسان إلى أبواب الجنة وتجعله فى صفاء روحى عميق..

ثانيًا: قوله ﷺ : «وغلقت أبواب جهنم».

والتغليق لأبواب جهنم يكون أيضًا حقيقة وقد يكون مجازًا عن تنزه الصائم عن الفحش وبواعث المعصية ورجس الشهوات..

ومما لا شك فيه أن المسلم حين يصوم تتربى عنده ملكة المراقبة لله تعالى وتزداد لديه الخشية فينكف عن كثير من الشرور والآثام..

ثالثًا: قوله ﷺ : «وسلسلت الشياطين» :

أى وضعت فى السلاسل والقيود، فليس للشياطين أثر فى حركة أو سعى لإفساد عقائد الناس وسلوكهم فى هذا الشهر العظيم، فإن النفس الصائمة عسير على الشيطان إضلالها، وإن القلب الصائم لا مكان فيه لنزغات الشياطين، وإن العقل الصائم نور على نور..

وبذلك يخرج المسلم من صيامه وقد جمع الأريحية كلها وكان من الله تعالى بمنزلة عظيمة وثواب جزيل..

باب الريان

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن سهل ﷺ، عن النبى ﷺ قال: «إن فى الجنة بابا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد».

إن للصوم منزلة خاصة فى ثواب الله عز وجل، فيخص الله تعالى الصائمين بمزيد فضله وتكريمه، فإن فى الجنة بابا يسمى الريان يخص الصائمين وحدهم، وفى التعبير بلفظ الريان مناسبة لحال الصائمين، فهم قد تركوا الطعام والشراب وظمئوا احتسابًا لوجه الله تعالى وامتثالاً لأمره فكافأهم الله بالدخول إلى الجنة بعد نداء تكريم أمام الأشهاد فيقال: أين الصائمون؟ فيقومون تحوطهم عناية الله ورعايته فيدخلون الجنة من باب لا يظمئون بعده أبدًا..

وذكر الحديث الشريف ما يناسب الظمأ فى الصيام دون ما يناسب الجوع اكتفاء بذكر الرى عن الشبع لأنه يدل عليه من حيث أنه يستلزمه أو لكون الظمأ أشق على الصائم من الجوع..

ويظل هذا الباب فى الجنة مفتوحًا للصائمين حتى يدخل آخرهم فإذا دخلوا جميعًا أغلق فلم يدخل منه أحد.

وفى هذا إشارة كريمة إلى مدى ثواب الله وفضله على الصائمين يوم الحشر يوم يساق الناس إلى جزاء أعمالهم..

ومما لا شك فيه أن للصوم أثرًا كبيرًا فى تربية الإنسان وتهذيب سلوكه ورفع معنوياته والوصول إلى مدارج الرقى البشرى، فليس الإنسان مأكلاً ومشربًا وشهوة، وإنما الإنسان قبل ذلك وبعده روح من أمر الله تعالى تحتاج إلى إشراقات إلهية ونفحات ربانية..

والبدن والروح يتعايشان معًا فى هذه الدنيا بمنهج الله الذى يحفظ لكل منهما وجوده ونقاءه، فإذا انتقل الإنسان إلى الدار الآخرة سيظل البدن والروح معًا فى الجزاء الأخروى ثوابًا وعقابًا..

﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾[1].

---

(١) سورة الزلزلة: الآيات (٦ – ٨).

زكاة الفطر

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: «**كنا نخرج فى عهد رسول الله ﷺ يوم الفطر صاعًا من طعام، قال أبو سعيد، وكان طعامنا الشعير والزبيب والأقط والتمر**».

***

أمر رسول ﷺ المسلمين بإخراج زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، وأمر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة للعيد..

وهذه القبلية فهمها بعض العلماء فهمًا موسعًا فقالوا بجواز إخراجها من أول رمضان، وفهمها آخرون فهمًا قريبًا فقالوا لا تقدم على وقت وجوبها وهو صلاة العيد إلا ما يغتفر كاليوم واليومين، وذهب جماعة إلى إخراجها بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العيد وهذا تضييق على الناس اليوم وتفويت لحكمة المشروعية، فالأقرب هو إخراجها قبيل يوم العيد حتى يستريح الناس فى تلك الأيام المباركة وتستقر أحوالهم المادية..

وكان الصحابة يخرجون صدقة الفطر صاعا من طعامهم، وهو يومئذ الشعير والزبيب والأقط والتمر..

وكانت هذه الأطعمة متقاربة القيمة ولم يكن لديهم القمح، فلما عرفوه وانتشر بينهم وارتفعت قيمته على قيمة هذه الأصناف أخرجوا من القمح ما يعادل القيمة المفروضة من الشعير والتمر والزبيب..

ففى صحيح البخارى: «أمر النبى ﷺ بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير، قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فجعل الناس عدله مدين من حنطة» والمراد بالناس الصحابة رضى الله عنهم، والمدان هما نصف صاع لأن الصاع أربعة أمداد، وهو قدحان بالكيل المصرى على المختار للفتوى.

وفى حديث آخر: «**كنا نعطيها فى زمان النبى ﷺ صاعا من طعام أو صاعا من تمر أو صاعا من شعير أو صاعا من زبيب، فلما جاء معاوية – وهو يومئذ خليفة، وجاءت السمراء – قال: «أرى مدا من هذا يعدل مدين»**.

فالمقادير تختلف باختلاف أسعارها والواجب هو إخراجها من غالب قوت البلد، وما زاد عن هذا الغالب والمتوسط فهو كرم ومزيد ثواب.

وإذا كان الغالب اليوم على قوت الناس هو الأرز والقمح والذرة فإن الواجب هو قيمة المتوسط من هذه الأصناف، وإذا كان نوع آخر كالزبيب مثلاً فإن سعره اليوم يفوق سعر هذه الأصناف – فإن الواجب منه كمية تعادل قيمتها قيمة الواجب من هذه الأقوات الغالبة وليس شرطًا المساواة فى المقدار..

وهذا كله يؤكد جواز إخراج القيمة نقدًا وليس بالضرورة أن نخرجها طعامًا..

***

obeikandl.com

التمر قبل صلاة عيد الفطر

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن أنس ﷺ قال: «**كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا**».

يوم عيد الفطر من أيام الله المباركة، به ختم المسلم فريضة الصيام وانتهى من أدائها، فهو فرح بنعمة الله عليه وتوفيقه له..

وحيث إن الصوم المفروض ينتهى بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان فإن المسلم يصبح مفطرًا فى اليوم الأول من شهر شوال، ولهذا كان رسول الله ﷺ يأكل تمرات قبل أن يذهب لصلاة عيد الفطر تأكيدًا لانقطاع الصوم وانتهاء الفريضة، باعتبار أن صلاة العيد تقع بعد شروق الشمس، وقد كان بالأمس صيام أما اليوم فهو فطر..

وهذه التمرات المأكولة قبل الخروج لصلاة العيد تقع بعد الفجر وقبل الذهاب لصلاة عيد الفطر..

والسنة أن يأكل التمر وترًا بدءًا بواحدة، وفى بعض الروايات: «**ما خرج رسول الله ﷺ يوم فطر حتى يأكل تمرات ثلاثًا أو خمسًا أو سبعًا أو أقل من ذلك أو أكثر وترًا**».

وهناك تساؤل هل هو التمر بخصوصه أم مطلق الأكل؟

والجواب أن التمر هو الأفضل الموافق للسنة، ويلحق به ما يشبهه من كل حلو تفاؤلاً بحلاوة اليوم وبركة المناسبة، وإن لم يتيسر فبأى شىء يقطع أثر الصوم كالماء والطعام..

فالعبادة لها أوقات والفطر له أوقات، وملاحظة المناسب للوقت هو من فطنة العقل وكمال الإيمان..

وملاحظة الوتر فى أفعال المسلم كثيرة، وقد جاء فى صحيح الحديث: «**إن الله وتر يحب الوتر**».

فالله تعالى واحد لا شريك له، وهو سبحانه يحب الوتر أى يفضل الوتر فى الأعمال وكثير من الطاعات، فجعل الصلاة المفروضة خمسًا، والطواف والسعى سبعًا، ورمى الجمار سبعًا، وأيام التشريق ثلاثة، وخلق السموات والأرض سبعًا، وهكذا..

وفى صحيح الحديث قال رسول الله ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسمًا من حفظها دخل الجنة وإن الله وتر يحب الوتر».

وفى رواية: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة»..

صلاة العيد

أخرج البخارى فى صحيحه بسنده عن جابر بن عبد الله قال: **«إن النبى ﷺ قام فبدأ بالصلاة ثم خطب الناس بعد، فلما فرغ نبى الله ﷺ نزل فأتى النساء فذكرهن وهو يتوكأ على يد بلال، وبلال باسط ثوبه يلقى فيه النساء صدقة».**

***

يوم العيد يوم مبارك طيب يبدأه المسلم بالذهاب إلى مصلى العيد ليلتقى مع المسلمين فى صلاة جامعة، وقد كان هدى رسول الله ﷺ أن يبدأ بالصلاة ثم يخطب الناس بعد الصلاة..

فصلاة العيد تخالف صلاة الجمعة فى أكثر من جهة، فصلاة العيد بلا أذان ولا إقامة وقال الشافعى رحمه الله تعالى: أحب أن يقول: الصلاة، أو الصلاة جامعة، فإن قال هلموا إلى الصلاة لم أكرهه، فإن قال حى على الصلاة أو غيرها من ألفاظ الأذان كرهت له ذلك..

وخطبة الجمعة قبل الصلاة أما خطبة العيد فتكون بعد الصلاة، كما أن صلاة العيد تستفتح بالتكبير سبعًا فى الركعة الأولى وخمسًا فى الركعة الثانية، ولا تكبير فى صلاة الجمعة..

وكان رسول الله ﷺ يخطب فى العيدين قائمًا على رجليه فلما تعب من الوقوف توكأ على بلال حين انتهى من خطبته وذهب إلى النساء فى موضعهن خلف الصفوف فخصهن بمزيد التذكير والموعظة وحثهن على الصدقة، وكان بلال ﷺ باسطًا ثوبه تلقى فيه صدقات النساء اللآئى سارعن بالصدقة بأقرطتهن وخواتمهن وحليهن كما ورد فى أحاديث أخرى..

وهذا العمل من رسول الله ﷺ قدوة لكل إمام يصلى العيد، عليه أن يخص النساء بموعظة على حدة فإن للنساء أحوالاً ولهن مشكلات يحسن أن يوجهنها إلى الإمام أو يواجههن الإمام بها..

ولما سئل أحد الأئمة من التابعين وهو عطاء وقيل له: أترى حقًا على الإمام الآن أن يأتى النساء فيذكرهن حين يفرُغ؟ قال: إن ذلك لحق عليهم ومالهم ألاَّ يفعلوا؟!.

إن صلاة العيد وخطبته تجمع المسلمين رجالاً ونساء وصبية، ومن تصح منه الصلاة ومن لا تصح، فيصلى من يصلى ويستمع الجميع إلى دعوة الخير ونصيحة المعروف فى لقاء حب وتعارف وسخاء..